

# الدين والإغاثة والتنمية: تجربة سريلانكا

غاي هوفي وأمجد سليم

**توفر الشراكة الإستراتيجية بين اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة (UMCOR) ووكالة المعونة الإسلامية (MA) في سريلانكا، والتي حولت لاتفاقية شراكة دولية رسمية، نموذجاً لكفاءة تقديم المساعدات الأهلية التي تتسم بالاستدامة والموائمة مع الأوضاع الثقافية لسريلانكا.**

القدرة على العمل بدرجة عالية من الكفاءة في الأوضاع غير الآمنة: كان لمراى اثنين من المنظمات الدينية المختلفة تعملان جنباً إلى جنب أثره المهدئ والمريح على العديد من المجتمعات المتأثرة بالصراعات. وما كان هذا ليتحقق على الأرجح في تلك الفترة القصيرة بدون إشراك الزعماء الدينيين المحليين من خلال المنظمات الدينية التي تشاركها في العقيدة.

القدرة على العمل لخدمة قضايا مشتركة: يسهم الإيمان المشترك بواجب خدمة الإنسانية في تحقيق القدرة على العمل المشترك كما يحد بشكل كبير من التنافس على الموارد في جهود الإغاثة والتنمية.

العمل ضمن شبكات: توفر الأديان شبكات ثقافية واجتماعية وسياسية يندر أن نجد مثيلاً لها في الأنظمة العقائدية الأخرى. وبوسع المنظمات الدينية 'الاتصال' بهذه الشبكات بما يتيح لها قدرة على الوصول الفوري للزعماء الدينيين - وهم بمثابة 'حراس' المجتمعات - ومن ثم تؤمن لنفسها نافذة على هذه المجتمعات.

التأثير طويل الأمد والبرامج المستدامة: في المجتمعات التقليدية، نجد ثمة صعوبة في تحقيق التقدم المستدام في النهوض بالأقليات والفئات المستضعفة (مثل النساء) بدون تعريضهم للمخاطر. وهنا نجد معظم الزعماء الدينيين، ورغم رغبة البعض منهم في المحافظة على أدوارهم التقليدية، يجعلون من هدف توفير المعيشة المستتبة لمجتمعاتهم الهدف الرئيسي لهم وينصبون من أنفسهم سرفاء للتغيير. ومن خلال العمل مع هؤلاء الزعماء الدينيين، أصبح في المقدر بذل جهود طويلة الأمد من أجل النهوض بهذه المجتمعات نهوضاً حقيقياً. ويتيح حضور الممثلين الدينيين بصفة مستمرة في المجتمعات دعم برامج الإغاثة والبرامج التنموية حتى بعد مغادرة الشريك الأصلي المنفذ بوقت طويل.

السلام والمصالحة والاحترام والتفاهم: إن السلام لا ينبثق من الاتفاقيات السياسية رقيقة المستوى ولكن من المجتمعات الكائنة على الأرض. وربما تعد واحدة من أبرز الجوانب المثيرة في هذا الشراكة أنها كانت المرة الأولى التي تشهد فيها غالبية الناس أصحاب الأديان المختلفة وهم يعملون ويتعاونون معاً على مرأى ومسمع منهم. وربما تعد تلك أبرز الجوانب التي ستكون فيها هذه الشراكة أكثر فعالية - أي العمل كحلقة وصل في الحوار بين الأديان والمجتمعات، وبما يترجم الخطاب الرنانة إلى أفعال واقعية تظهر فائدة الحوار للمجتمعات المحرومة.

لحشد وتعبئة آلاف المتطوعين للمساعدة في جلب المعونات الغذائية وغير الغذائية لمخيمات النازحين داخلياً ومراكز التوزيع. ومن ناحيتها شاركت والإغاثة الإسلامية مع الأئمة المسلمين والمجلس التنسيقي لعلماء الدين والمجتمعات الإسلامية، وناقشت الطبيعة الحيادية للعمل الإنساني معهم وشهدت على حيادية فريق اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة. وقد تركزت المناقشات حول واجب كلا العقيدتين في خدمة الإنسانية والتخفيف من معاناة المحرومين. وكانت تلك لغة في الحوار يستطيع العامة فهمها والإخلاص لها. وقد فعلت اللجنة الميثودية نفس الشيء من خلال القساوسة الميثوديين (المنهجيين) المحليين في المناطق المسيحية - ومن خلال الهندوس الذين كان القساوسة يعرفونهم. وسرعان ما أصبحت القرى التي كان القرويون يستهدفون فيها اللجنة الميثودية ويهاجمونها منذ بضعة أسابيع تحرب بكل من فرق اللجنة الميثودية والإغاثة الإسلامية.

وقد حاولت كل من اللجنة الميثودية والإغاثة الإسلامية بشكل مشترك الاقتراب من كبير الرهبان البوذيين في المنطقة لطلب مساعدته في جلب المعونات للمجتمع البوذي المحاصر - وهو مجتمع يرتاب في المنظمات غير الحكومية وغيرها من التجمعات العرقية والعقائدية المختلفة. وقد فوجئ كبير الرهبان بتلك المحاولة المشتركة التي تقوم بها منظمتان كان الإعلام يصور عقيدتهما كأعداء (وهي بالتالي نفس الصورة التي كانت منطبعة في ذهن هذه المجتمعات) بيد أنه قد وافق على الحديث إلى رعاياه؛ وهكذا ازدهر هذا التعاون بين العقيدتين في جهود الإغاثة الإنسانية، وليصبح المعبد البوذي مركزاً لتوزيع المعونات.

وقد تواصلت هذه الشراكة حتى انجلت حالة الطوارئ وتحسن الموقف الأمني. وعندما أصبح في مقدور النازحين داخلياً أخيراً العودة إلى منازلهم بعدها بعدة أشهر، قامت المنظمات من ناحيتها بتوفير جهود إعادة الإعمار وتقديم المساعدات في العودة. وبعد تلاشي الأزمة، قام الشريكان بمراجعة عمليتهما المشتركة لتحديد العناصر الأساسية للشراكة فيما بينهما بالإضافة إلى بحث الفرص الأوسع للكيفية التي يتسنى من خلالها للمنظمات الدينية العمل معاً نحو تحسين الكفاءة في ميدان العمليات:

كان تدهور الأوضاع الأمنية في شمال شرق سريلانكا في عام ٢٠٠٦ قد بدأ بشكل ضغوطاً على الهدنة الهشة المعقودة بين الحكومة وبين جبهة تمور تامليل إيلاي للتحريير (LTTE). ففي الثاني من أغسطس، تعرضت مدينة (مُتر) ذات الأغلبية المسلمة (في إقليم ترينكومالي) للهجوم والحصار من قبل الجبهة. وباءت بالفشل جميع المحاولات التي بذلتها وكالات المعونة والأمم المتحدة والصليب الأحمر للتفاوض مع الجبهة من أجل إنشاء قناة لتمرير المساعدات الإنسانية للمحاصرين في المدينة. وبعد أيام قلائل، بدأ معظم سكان المدينة في الفرار. وقد توجهت أمواج النازحين داخلياً، والتي حرّمها العسكريون من أن تيمم وجهها شطر ملاذها المفضل، إلى مدينة كنتالي ذات الأغلبية السنيغالية، وهي مدينة تعاني بالفعل من عدد من الاضطرابات بين الجماعات الإثنية المختلفة بسبب قربها من مناطق الاقتتال. وقد عجزت الهيئات الحكومية المحلية عن تلبية احتياجات النازحين داخلياً، والذين وصلت أعدادهم إلى ما يقرب من ٥٧ ألف نسمة.

ومع تدفق عشرات الآلاف من النازحين داخلياً، كانت منطقة كانتالي، وهي منطقة تعاني افتقاراً للكثير من أسباب الحياة، تعاني حالة حرجة من التوتر إضافة إلى شيوخ العنف بها. وكانت غالبية المنظمات غير الحكومية قد غادرت المنطقة، بينما ظلت اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة والإغاثة الإسلامية تباشران أعمالهما فيها. ومع تنامي نطاق الأزمة، سرعان ما حدث التقارب بين الوكالتين وفي خلال بضعة أيام كانتا تعملان سوياً، وأنشأت الوكالتان مكتباً ميدانياً مشتركاً بالإضافة إلى مستودع للمعونات، كما تشاركتا الفريق والعتاد وإمدادات المعونات والدعم اللوجستي. وقد استجابت الوكالتان وشركائهما المحليون للأزمة من خلال توفير الطارئ للمياه والمأوى والمعونات الطبية والغذائية وغير الغذائية للنازحين داخلياً، كما قامت بتوفير الدعم اللوجستي والمساعدات التنسيقية للمنظمات غير الحكومية الدولية.

وقد أتاحت هذه الشراكة حدوث عمليات تنظيمية في حجم المعونات والتنسيق الفعال بيد أنها قد تمخضت كذلك عن عدد من النتائج الأخرى غير المتوقعة. فقد عملت الوكالتان بالتنسيق مع الزعماء والمجالس المجتمعية والدينية الخاصة بكل منهما من أجل التنسيق



الإغاثة الإسلامية / اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة

أثناء توزيع المساعدات على النازحين داخليا في مونور في كانتالي في شمال شرق سريلانكا

الإسلامية لطرح نموذجها في الشراكة في اجتماع رؤساء دول الكومنولث لعام ٢٠٠٧ في كامبالا، وقد تمخض عن هذه الدعوة اهتمام كبير بالموضوع. وعلى مدار الاثني عشر شهراً القادمة، سوف يعكف الشركاء على توسيع آفاق هذا النموذج وتطويره بمساعدة الأكاديميين والممارسين والزعماء الدينيين والمجتمعات. وسوف يشهد عام ٢٠٠٨ اجتماعات مشتركة للمدراء القطريين ومزبداً من الاجتماعات بين العاملين على مستوى الإدارات العليا والمتوسطة والدنيا لهذه المنظمات وعدداً من الأنشطة المشتركة على المستوى الميداني ومشروعات الشراكة المختلفة مع المجتمعات ذات العرقيات المتنوعة في السودان ولبنان سريلانكا واندونيسيا.

وهذه الشراكة ليست حصرية فهي مفتوحة لجميع المنظمات الدينية غير التبشيرية. والرؤية طويلة الأمد التي ننشدها الآن هي تلك التي تروم تحقيق اتحاد من المنظمات الدينية التي تعمل سوياً في المجتمعات من أجل تقديم الإغاثة وتحقيق التنمية والسلام والتسوية والاحترام والتفاهم المتبادل في عالم صار يُستعمل فيه الدين كأداة لتأجيج الصراعات بدلاً من حلها.

غاي هوفي (guy@umcor-regional.org) يعمل لصالح اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة (وكان متواجداً في سريلانكا في العام ٢٠٠٦-٢٠٠٧). أما أمجد سليم (amjad@muslimaid.org) فهو المدير القطري للإغاثة الإسلامية في سريلانكا منذ عام ٢٠٠٥.

http://new.gbgm-umc.org/umcor/work/fieldoffices/partners/١/muslim-aid

http://ramadan.muslimaid.org/Page170.asp ٢

٢ مثل منظمة 'الكنائس معاً' الدولية (ACT) ومقرها جنيف

http://act-intl.org

تشنت جهود الزعماء الدينيين: كان بعض الزعماء الدينيين المجتمعيين قد خاضوا غمار مجال العمل الإنساني الدولي لأول مرة، وقرروا المشاركة في عمل المنظمات غير الحكومية لما لمسوه من قدرة هذه المنظمات على إنجاز الكثير. وقد أثارت مشاركتهم خوفاً مما يمكن أن تتسبب فيه هذه المشاركة من انصراف- في وقت الأزمات- عن

مخاطبة الاحتياجات الروحية لمجتمعاتهم. ومن الواضح أن ثمة حاجة لتحقيق التوازن بين الحاجتين بشكل مبكر من أجل إرساء منهجية عملية لا تقتطع من الدور المهم للزعماء الدينيين في كلا الوظيفتين.

الإبقاء على ارتباط الشراكة بالواقع: كانت التجربة السريلانكية قد أثبتت أن نجاح الشراكة كان يكمن في ارتباطها بالمجتمعات وأن الحوارات رفيعة المستوى، رغم ما لها من أهمية، محدودة المعنى والصلة بالنسبة لمن يعيشون في قاع المجتمع. ومع قيام الجهات الأكاديمية والحكومات وغيرهم من الأطراف المهتمة بالموضوع بأخذ نموذج الشراكة ذلك وتحليله ومناقشته، سوف يكون التحدي التالي هو ضمان بقاء هذه الشراكة شراكة عملية الطابع ووثيقة الصلة بالواقع المعاش على الأرض ومتجدرة فيه.

### الخطوات التالية

إن فكرة قيام أصحاب ديانتين بالعمل معاً ليست بالفكرة الجديدة، بيد أنها كانت تأتي مقتصرة في الغالب وحتى اليوم على الحوار بين الأديان وبعض المبادرات التمويلية المتبادلة. وفي سريلانكا، أثبتت الشراكة بين اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة والإغاثة الإسلامية أن ثمة الكثير مما يمكن تحقيقه في مجال التعاون بين الأديان. وترى الوكالتان أن الدين يشكل دعامة مهمة في التنمية والإغاثة المجتمعية وهو الأمر الذي كان يتم تجنب مناقشته نظراً لطبيعته الحساسة. ورغم ذلك، فإن جميع الديانات، ورغم الاختلافات العقائدية فيما بينها، إنما تسعى لغاية مشتركة هي خدمة الإنسانية ومساعدة المحرومين.

وكانت مؤسسة الكومنولث في بريطانيا قد وجهت دعوتها إلى اللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة والإغاثة

### التحديات المطروحة

كان التعاون بين المنظمين غير الحكوميتين الدينيين قد تجاوز نطاق سريلانكا، ففي ٢٦ يونيو ٢٠٠٧، وبعد عدد من المفاوضات المكثفة، تم توقيع اتفاقية شراكة عالمية في مجلس العموم البريطاني في لندن. ورغم ذلك، فلم يتحقق إجماع بعد على الترحيب بهذه الشراكة ونشأت العديد من المشاكل المختلفة أثناء المفاوضات.

إضفاء الطابع الرسمي على الشراكة: يعتمد نجاح البرامج المشتركة غالباً على العلاقات القائمة بين الأفراد، وهو ما يجعل هذه البرامج عرضة للأهواء الشخصية التي قد تعصف بها في أي لحظة. وقد عقدت مناقشات تتناول ما أثير من أن نجاح التجربة السريلانكية كان يرجع أكثر ما يرجع إلى الصداقات الشخصية التي تصادف أن نشأت بين فرق الإغاثة الإسلامية واللجنة الميثودية المتحدة للإغاثة، وعلى أساس هذه المناقشات، تم وضع برنامج تطبيقي تجريبي للتمويل المشترك في اندونيسيا وفي مجال لم تكن فيه الظروف محركاً لإحداث التقارب بين المنظمين. ومع قيام زعماء كلتا المنظمين بالشرح التفصيلي للشراكة وأهدافها، وجد أن عملية التطبيق وما استتبعته من تقييمات مشتركة قد سارت بسلاسة وقامت وشائج صلة مستديمة بين المنظمين.

مقاومة أتباع الديانتين للشراكة: نجد ضمن جميع الأديان والعقائد، وكما هو الحال في المجتمعات العلمانية، مجموعة كبيرة من الآراء المختلفة. ويمكن رؤية ردة الفعل السلبية التي أبدتها البعض في المجتمع المسيحي في الولايات المتحدة في العديد من المدونات، كما أبدى بعض المسلمين كذلك عدد من الآراء المشابهة. وغني عن القول بأن هذا أمر متوقع تماماً. فقد وجد أن الكثيرين قد أساءوا فهم طبيعة عمل المنظمات الدينية- كمنظمات مهنية هدفها الأساسي هو توفير جهود الإغاثة والتنمية في مقابل الصورة الخاطئة عنهم كمنظمات تبشيرية. وكان هذا الشقاق قد أتاح فرصة للناس لمناقشة الصورة المتغيرة للإغاثة والتنمية وأهمية تحقيق الشراكات بين الأديان.

تآكل الهوية: عبر البعض عن مخاوفهم من أن الشراكة من شأنها أن تتسبب في تمييع الهوية الإسلامية لوكالة الإغاثة الإسلامية والهوية المسيحية للجنة الميثودية المتحدة للإغاثة - وأن من شأن لم شمل المنظمين معاً أن يتمخض عنه في النهاية منظمة تكون عرضة للشبهات ولا تتسم بالاستقرار. وهذا يمثل بلا شك خوفاً له ما يبرره. ورغم ذلك، فإننا نقول أن هذه الشراكة إنما تلتف بصفة رئيسية حول القضايا العملية والدفاع الحقوقي، ولا تصل أبداً لمستوى النفاذ إلى هوية كل من المنظمين. ورغم أن الشركاء قد يختلفون حول عدد من القضايا العقائدية، إلا أن هناك على الجانب الآخر مجالات أكثر تتعلق بالمحرومين في العالم وتحظى باتفاقهم عليها.